أختنا الكبرى

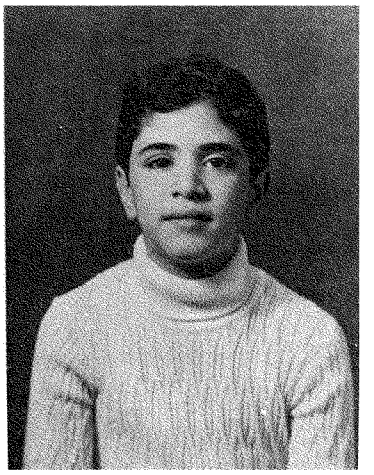

سماح إدريس

احاط افراد العائلة الصغيرة بقالب الحلوى الكبير وقد غرست في وسطه خمس وعشرون شمعة مضاءة . أطفأت أمي نور الكهرباء . وما أن انحنى رب الاسرة على الشمعات ليطفئها ، حتى تدفقت في نفسي الصور ...

* * *

ـ ولكن مصيبته كبيرة ...
ـ وما هي هذه المصيبة الكبيرة ؟
ـ ان سماح ، لسوء الحظ ، يتذوق الادب ..!
ـ وهل تسمي هذه الموهبة مصيبة ؟!
ـ والله أخشى .. أخشى أن يصبح هذا العفريت أديبا ..!
ـ تخشى ؟!
ـ أما رأى ما قد عانيت طوال ربع قرن ؟ أخشى عليه من مصاعب حياة الاديب في بلادنا ..

هذا هو الحوار الذي يدور دائما بين أبي وأحد ضيوفه الادباء الذين يزورونا في البيت أو في المكتب .

* * *

وأذكر ان أمي تناولت مرة عددا من « الآداب » لم تطلع على مادته كلها وتوقفت عند مقال بعينه ، فسألت أبي :

ـ أتراك نشرت هذا المقال لانه ذو موضوع وأسلوب جديدين أم لان ...
ـ أم « لان » ماذا ؟
ـ أم لان كاتب هذا المقال فتاة تريد مجاملتها ؟

فابتسم قبل أن يقول :

ـ هل نسيت مقالاتك الاولى ؟

فضحكنا وقالت رنا :

ـ اطمئني يا ماما ، فلا خوف عليه من ان يتزوج ثانية !

* * *

ما أن يتسلل أول خيط ذهبي من خيوط الشمس الى غرفتهما، حتى ينهض من فراشه فيتناول الترانزستور ويديره على أحدى الاذاعات لسماع آخر التطورات في الوطن العربي . وما يلبث أفراد الاسرة أن يتململوا في أسرّتهم ثم ينهضوا واحدا تلو الآخر . وبعد فنجان قهوة ذات نكهة خاصة من يدي رنا الحلوتين ، ينزل الى مكتبه الكائن في بناية هرمة ، سيرا على القدمين . واذ يدخل دار الآداب ينصرف الى أعماله الكثيرة ويستقبل على غير موعد في أغلب الاحيان أصدقاءه من الادباء القدامى ووجوها جديدة من الادباء الشباب .

وعند الظهيرة يعود الى المنزل حيث يتناول طعام الغداء الى جانب عائلته الصغيرة . انها أحلى الاوقات يقول . ونلاحظ عليه كم يتحاشى التكلم في أمور الدار والمجلة . فتلح عليه رائدة أن يحدثها عن سير الشغل . فيتأفف ويحول وجهه نحوي قائلا :

ـ أحاول أن أقتلع الشوك حتى لا تدمى قدماك .

ثم يردف شاكيا من ان « الآداب » تمنع في عدد من الدول العربية مما يؤدي بالطبع الى خسارتها . وكم من مرة ألحت عليه أمي أن اغلق المجلة ، لكنه كان يقاطعها بعصبية : « ان « الآداب » هي منبر الادباء والكتاب القوميين والوحدويين العرب ، واسقاطها يعني اسكات بعض اصوات العروبة والوحدة والاشتراكية . لذا فانني سأتابع اصدارها ومن أي رقعة في الارض متحملا خسارتها حتى أموت » !

وفي بعض أماسي الشتاء يتحلق أفراد العائلة حول المدفأة الحديدية . ويجلس أبي وفي حضنه أوراق لمقال لم ينشر بعد في « الآداب » : « عائدة .. رنا .. رائدة .. سماح .. تعالوا أريد أن أستطلع رأيكم في هذا المقال » . ثم يشرع بقراءة مقاله بصوته الابوي الحنون تارة والعصبي تارة أخرى .

* * *

بكى ابي وهو يقرأ لنا ما كتب وكتب عن حرب ٦٧ ونكسة العرب . وترقرقت نفس الدموع في عينيه عند موت عبد الناصر البطل عام ٧٠ . وعام ٧٣ ترقرقت الدموع في عينيه لكنها كانت دموع الفرح عند انتصار الجيشين العربيين المصري والسوري على العدو الصهيوني وان لوّث هذا الانتصار فيما بعد ... وعام ٧٦ دمعت عينا رئيس تحرير « الآداب » وهو يقرأ لنا « التل والنورس » ، آخر نتاجه الادبي عن تلاحم الثورة الفلسطينية الباسلة والحركة الوطنية اللبنانية في وجه الانعزاليين وحلفائهم .

انحنى على القالب وأطفأ الشمعات بنفس قوي .

قبلنا أبانا في خديه وتحسسنا طعم الدمع عليهما ، وغنينا لاختنا الكبرى : ابنته « الآداب » في عيد يوبيلها الفضي : سنة حلوة يا جميل .

سماح ادريس
(١٦ عاما)

بالتهيّب نفسه والحبّ نفسه !

كانت تظاهرتنا ضد (الحلف التركي الباكستاني ـ حلف بغداد لاحقا) قد انفضت ، وحين عدت الى البيت ، كانت الصغيرة التي احبها واقفة بانبهار على عتبة الباب ، وكانت امي تبكي . وليلتها كتبت قصيدة (الجدار) واهديتها (الى امي والصغيرة التي كنت احبها) .

وبعد يومين غامرت بارسالها الى « الآداب »، فقد كانت محرابا نتهيب من المروق اليه .

وبين ارسالها ، والايام التابعة ظل الظن يتأرجح ، والتوق يئن .

وجاءت « الآداب » ، ولم تأت القصيدة !

وقبل ان أوطن نفسي على انتظار عدد لاحق فاجأني صديق بنفس العدد وفيه قصيدتي !

كان قد جاء به من بلد عربي آخر .

اذن ، فقد اصبحنا مخيفين في نظر الحلف ومن حلف به ! وكان زهوا أي زهو ان تهرّب كلماتنا عبر (الآداب) . فقد كان هذا نسغا جديدا في شرايينا الثائرة .

كان ذلك قبل احدى وعشرين سنة .

والآن ..

الصغيرة التي كنت احبها ، وما زلت ، وقد اصبحت الآن رفيقة العمر ، اوصلتني الى المطار لاعود للآداب حاملا لها بعض فضلها عليّ ، اسفحه على صفحاتها خطا وتصميما ،بالتواضع نفسه ، والتهيب نفسه ، والحب نفسه .

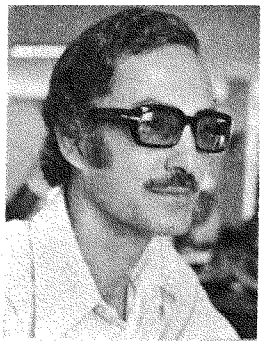

محمد سعيد الصكار